http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد (1563) السنة السادسة - الخميس (23) تموز 2009

السياسيون العراقيون ولغة الشارع العراقي .. عندما تتحول التسمية الى إدانة شاملة

عبر تحقيقين ميدانيين نرصد اليوم ظاهرة غريبة من ظواهر المجتمع العراقي ، تجلت في شيوع تسميات ناشزة على ألْسنة الشباب ، كنتيجة لإفرازات كثيرة وكبيرة عاشها المجتمع العراقي بعد ٢٠٠٣ ولرصد هذه الظاهرة سنجد جذورها الأساسية قبل هذا العام إبان الحقبة الماضية التي أدخلت الى حياتنا الحروب والمجاعة واشاعت البطالة والعوز والفاقة وحرمت العراقيين من الكثير من مظاهر الحياة . فتسببت في إيجاد شرخ اجتماعي ظل يتسع مع الشهور والسنوات حتى باتت اللغة اليومية عاجزة عن الشكوى تماماً ، فتحولت الى لغة امية ثانية اخترقت التابو الإجتماعي وانتشرت كالنار في أروقة المجتمع ، كبديل يفسر السخط ويعني الكثير من المشاكسة وعدم الرضا ، حتى وصلت الى الحاضر الذي كان انفتاحه الواسع يحفز على شيوع هذه اللغة وانتشارها الناري ولنفس الأسباب السابقة إن لم تكن أكثر صرامة وحدة وقسوة .. "التحرير"

دارفور .. تورا بورا .. قندهار .. الشيشان .. ذكاء الفقراء في مواجهة السلطات

فقراء في وطن النفط

شاكر المياح

ارتحل (ابو علي) من منطقة (السبع قصور) التي تقع خلف مدينة الشعب وجارورني السكن في حي الامين ، سألته ذات يوم عن سبب تسميتها (بحافات المياه) فاخبرني بان هذه التسمية اطلقت عليها في ثمانينات القرن المنصرم ، لما كان تلفزيون العراق انذاك يعرض المسلسل الياباني (حافات المياه) الذي حظي بشعبية واسعة بين مختلف الاوساط الاجتماعية ، وخصوصا الشرائح الفقيرة ، فعندما يسأل احد ابناء منطقة (السبع قصور) عن وجهته ، يرد بتهكم مشوب بالمزاح (الى حافات المياه) فانتشرت بين سكانها وشاعت في المناطق الاخرى .

الصقت هذه التسمية بالمنطقة لانها بعيدة عن مركز بغداد وتفتقر الى الخدمات وتكثر فيها الحفر ومكبات النفايات ، فضلا عن المستنقعات ومستعمرات البعوض والذباب ، ناهيك عن طرقاتها ودروبها الترابية ووسيلة النقل الوحيدة فيها تتمثل في سيارات الجيب الروسية التي توصل مواطنيها الى نهاية مدينة الشعب ، حتى ظن اهلوها انها منسية او القيت خلف التاريخ وليس لها وجود على خارطة العاصمة بغداد . اهملها المسؤولون ابان النظام السابق وبعد التغيير في ٩ / ٤ / ٢٠٠٣ تذكرها المسؤولون الجدد ايام الانتخابات ، وهي ما تزال على حالها منذ بداية عقد ثمانينيات القرن المنصرم وحتى الان . واليوم وجدت (السبع قصور) قرينة لها تشاركها في التسمية وتناظرها في الوصف الجغرافي والبيئي ، والاجتماعي والخدمي ، تلكم هي منطقة (معامل الطابوق) التي تقع على طريق بعقوبة القديم ، غير انها تتفرد بالحفر العملاقة التي كانت يوما ما مقالع للتراب الذي تحتاجه معامل الطابوق اذ تتجمع فيها مياه الامطار شتاء فتصير مستنقعات هائلة ، وحينما تجف في موسم الصيف الطويل تتحول الى مناطق للطمر الصحي ، وعلى وفق هذا يصح ان نطلق على هاتين المنطقتين تسمية (حافات المياه) . ويقترح (ابو علي) ان تزال السدة الترابية التي تحيط بمدينتي (الشعب و الصدر) والاستفادة من ترابها لردم تلك الحفر الواسعة ليتخلص المواطنين من بعض معاناتهم التي ما انفكت تنغص عليهم العيش والحياة.

دارفور والذهب الابيض

التدريسي المهجّر (فيروز حسن سوادي) ذكر بان منطقة (ابو غريب) وقبل دخول عصابات القاعدة اليها كانت تسمى (مدينة الذهب الابيض) واكتسبت شهرتها من وجود معامل الحليب فيها التي تميزت بغزارة الانتاج الذي كان يغطي حاجة العراق من الحليب ، يوم كان مواطنوها متحابين ومتآلفين وبينهم علائق اجتماعية حميمية ، غير ان الارهابيين بدأوا اعمال العنف بتهجير العائلات الغجرية وتفجير منازل البعض منهم واتخاذ الاخرى مثابات ومقرات لزمر عصاباتهم المجرمة وفي مرحلة من مراحل نشاطهم الاجرامي في المنطقة امعنوا في القتل العشوائي واوغلوا في ذبح العراقيين دونما تمييز ، ولم يسلم من اعمالهم الوحشية حتى الاطفال ، وقاموا باوسع عملية تهجير قسري ولم يسمحوا للمهجرين باخذ مقتنياتهم وامتعتهم ، ، وبعد اخلاء البيوت ، احرقوا بعضها والبعض الاخر منها تم تسويتها بالارض بواسطة متفجرات شديدة . اطرق فيروز رأسه واغرورقت عيناه وهو ما يزال يروي لي حكايته ، وبعد لحظات كفكف دموعه ورفع رأسه ليكمل ما بدأه (دارفور) تسمية اطلقها شاب مهجر مع عائلته كنا معهم في سيارة واحدة اقنعنا سائقها بعد توسلات واغراء بالمال بنقلنا الى حي (الامين) ومدينة (الصدر) هذا الشاب كان طالبا جامعيا ، ومن فرط حزنه وقسوة الاحداث عليه اطلق هذه التسمية ، لان ما كان يحدث في مدينة (الذهب الابيض) يشبه في مآسيه ما جرى ويجري في (اقليم دارفور) السوداني ، من تهجير وقتل وهتك للاعراض ، ومصادرة للاموال والممتلكات مرة اخري يطرق (فيروز) برأسه في محاولة منه لتذكر ما حدث في ابو غريب وكيفية شيوع تلك التسمية التي وصفها بالبغيضة فيقول : انا متألم جدا من اطلاق تسميات على بعض الاحياء السكنية لا تمت بصلة الى تاريخ العراق ارضا وشعبا ، وللاسف لم يقتصر الامر على بغداد وحدها ، بل انسحبت لتشمل محافظات اخرى ومثلما يتداول الان بين مواطني (واسط وميسان والبصرة وربما في الديوانية وكربلاء) ومستاء جدا لشيوعها بين مواطنين يعشقون وطنهم ويتغنون به ليل نهار .: صحيح ان هذه التسميات قد تعكس مشاعر الاحباط الجمعي لبعض شرائح المجتمع ، الا انها لا تمثل الرأي العام ، ولطالما تندرت بعض الاوساط الشعبية بشخصيات واحداث وعلى وفق ادراكها ووعيها ، وبما يتاح لها من حريات ، فالترميز الشعبي الواعي كان وما يزال حاضرا عند العراقيين حتى في ظل القمع والاضطهاد ، والامثلة والشواهد المتداولة سابقا ولاحقا كثيرة ، وما التوريات اللغوية الا واحدة منها والتي تجسد فيما اصطلح عليه (بالحسجة) ومثلها الاهازيج التوروية التي وردت في قصائد الشعراء الشعبين ، واذكر اهزوجة اطلقها احد الشعراء ظهيرة ازاحة الستار عن جدارية كبيرة وملونة للديكتاتور في عام ١٩٩٣ حينما انبرى وسط الجمع الذي احتشد امامها قائلا : (هذا الطيح حظنا) ثم سكت وفي تلك اللحظة ران الصمت على الجميع وكأن على رؤوسهم الطير فتدارك الامر وصاح عليهم (ها خوتي ها) (هذا الطيح حظنا) مشيرا بسبابته الى الجدارية ،وسكت مرة اخرى ، فدب الرعب في اوصال الحاضرين فصاح احدهم (احجيها وخلصنا) فردد مرة اخرى : (هذا الطيح حظنه) مشيرا بسبابته نحو الجدارية (هذا الطيح حظنا بوش يكل كلنتون) فضج الجميع بالضحك وتنامى حماسهم ليشبعوا الارض ركلا وردحا . خلاصة القول : ان العراقيين ميالون الى التورية في غياب حرية التعبير .

بيوت الشيشان العراقية

اسكتلندا وايرلندا تلتقيان في حي الجامعة

استغرق صديقي الاستاذ الجامعي (الدكتور صديق) في الضحك لما سألته عن صحة ما اشيع في سنوات المحنة من ان (حي الجامعة) اطلقت عليه بداية الاعمال الارهابية تسمية (اسكتلندا) التي كانت مناوءة للملكية البريطانية ، ثم سمي فيما بعد (بايرلندا) وسكانه (بالجيش الايرلندي السري) ، ولما فرغ من استغراقه قال ؛: اعتقد ان التسمية الاولى جاءت عقب اغتيال (الدكتورة عقيلة الهاشمي) اما التسمية الثانية فقد اشيعت بعد مقتل الاعلامية والمذيعة المعروفة (خمائل محسن) وظن الناس في المناطق الاخرى بان هناك جيشا سريا يزعم بانه يقاتل الامبريكان ويخطط لتصفيات جسدية تستهدف شخصيات علمية ومعرفية واعلامية وثقافية سواءا كانت مع التغيير او ضده ، الا ان حقيقة وواقع (حي الجامعة) مختلف تماما ، وهو على غير الصورة التي كان يتخيلها بعض العراقيين انذاك ، فهو مخصص لسكن الاساتذة والاكاديمين والملاكات الجامعية التي تتوافر على قدر من الوعي والثقافة والمعرفة والعلم ، ولا يمكن لابنائه ان ينخرطوا مع تنظيم القاعدة لتنفيذ الاعمال الاجرامية ، مهما كانت اساليب الترهيب والترغيب ، فالذي حصل ، هو استغلال العناصر القاعدية لبعض المنازل الخالية ، والتي غادرها اصحابها خشية ان يطالهم العنف كونهم شخصيات مرموقة اجتماعيا وعلميا ، وربما سيكونون اهدافا سهلة للارهابيين . صديقي لم يخف استغرابه واستنكاره لمثل هذه التسميات التي قد تضعف الحس الوطني لدى العراقيين وتشجع السفهاء على الترويج لها .

الغزالية بين قندهار وتورابورا

العقيد المهندس المتقاعد (حسن لازم راضي) كان يسكن في حي (الغزالية) مثله مثل الكثير من ضباط الجيش العراقي السابق الذين حصلوا على قطع اراض فيها من خلال (جمعية بناء المساكن التعاونية للضباط) لقاء مبالغ استقطعتها من رواتبهم تم تهجيره هو وعائلته واستولت عليه عصابات القاعدة الارهابية ، التقيته وسألته : لم سميت الغزالية بقندهار ؟ قال : لان منطقة (قندهار) الافغانية كانت احدى معاقل طالبان والقاعدة ، والغزالية اضحت في ايام العصف الارهابي معقلا لعصابات القاعدة ومنطلقا لهجماتها الاجرامية ضد ابناء الشعب العراقي . اما تورا بورا فكانت تطلق على منطقة الخضرا لنفس الاسباب .

وما ادراك ما الشيشان

الغريب ان بعض التسميات التي تطلقها الدوائر البلدية وامانة بغداد لا علاقة لها بالمسمى ، فعلى سبيل المثال (حي التنك) الذي يقع خلف السدة يسمى رسميا (بحي النصر) وهو لا يشتمل الا على تداعيات الهزيمة والانكسار ، فواقعه يزخر بالتعاسة والبؤس والفقر ، ناهيك عن افتقاره لابسط الخدمات البلدية ، هو حي سكني لا يشبه الاحياء الاخرى ، فمواطنوه يعيشون على القمامة والنفايات ، تنخر فيهم الامراض المعدية والمستوطنة ، وكأنه خصص للمنفيين ، والذين حلت عليهم نقمة الحاكمين والسلطويون ، سألت احد المواطنين : هل انتم حقا من الشيشان ؟ ابتسم وقال : (عمي سمونه بالشيشان) لاننا نعيش الغربة حقا وكأننا لسنا عراقيين ، ولم نضح من اجل الوطن ، وبسبب احساسنا بالغربة اسمينا انفسنا (الشيشان) .

الحديقة، الدودة، الجرو، الفضائي، البجغ، العاوي، الداوي

مفردات شاذة وغريبة تنتشر كالوباء في أروقة المجتمع العراقي

كاظم الجماسي

كنت في حيرة من امري ! كيف يمكن لي أن اكتب تحقيقا مناسبا بشأن أصول ومعاني مفردات لغة دارجة تدورعلى ألسنة كثيرمن شبابنا هذه الايام ، وتبدو المهمة لأول لحظة مهمة ليست صعبة ، ولكن من أين لك من يتفهم غايتك بالضبط من أفراد تلك الشريحة ، فضلا عن كون هذه اللغة تخصها حصرا ، وغالبا تكون شريحة معينة من الشباب موصوفة بالشذوذ نسبيا عن السلوك الاجتماعي السليم أو هي في أقل تقدير خارجة عن الاطر المعتادة .

يصف الباحث مهدي النجار في كتابه (الشطار والعيارون) هذه الشريحة التي يبدو ان لامجتمع في جميع انحاء العالم يخلو من وجودها بكونها منظومة اجتماعية تحتكم في سلوكها الى أنساق وتقاليد ووسائل تفاهم متبادلة خاصة بها ، كما انها تنضوي تحت لواء الشرائح المتمردة أجتماعيا وسداتها ولحمتها من فئة الشباب .

كانت الصعوبة تكمن في اختراق عوالم هذه الشريحة التي تأخذ عنوانات مختلفة من مثل (النكرية والقفاصة والحدايق والفضائية والطنطات ...) وغيرها مما سياتي ذكره .وهي مهمة محفوفة بكثير من التكاليف مما لاطاقة لرجل في الخمسين من عمره ،مثلي على أحتمالها .

علق المغذي

حزمت امري وذهبت الى الأماكن التي فكرت بأحتمالية ان أجد ضالتي فيها ، وكان أولها سوق الهرج في الباب الشرقي .

بعد جولة في سوق البالات المكتظة بالباعة والزبائن على حد سواء ، سمعت كلمة (عليوي) فسألت قائلها ، وكان شابا دون العشرين من عمره ،عن معنى الكلمة ، فخزرني مستفهما ، ولما أعدت السؤال بنبرة أقرب الى التوسل ،صاح بي :(الله ينطيك) ولم يكن مني سوى ان أشكره وأمضي .

أنتقلت الى تجمع البسطات التي تبيع أقراص الـ (CD) والتي تنتشر على موائد عرضها صور أباحية تغلف تلك الأقراص وغيرها من صور مطربات ومطربي هذه الايام ،فأخترت أكثر البسطات أحتشاما وسألت صاحبها عن معنى كلمة (حديقة) فأجابني بسؤال : هل ستشتري مني ام لا ؟ فأجبته : نعم . فقال : اذن أنت لست بحديقة . وفهمت منه ان (حديقة) تقال لمن يكثر من المعاملة على شراء مختلف البضائع وهو مفلس تماما .

يبدو ان هناك بابا قد انفتح وعلي أستثماره ، أشتريت منه قرصا لاعلى التعيين وعدت لاسأله : مامعنى كلمة (فضائي) فأجاب بذكاء (أبن سوق) : الفضائي هو من يشتري مجموعة من الاقراص وليس قرصا واحدا ، يعني كما يقال (أيده مو إله).

وعدته بالشراء أن هو أخبرني بمعاني كلمات اخرى اريد ان افهمها فوافق على قدر معرفته بها ، ومنها (قضية) وتقال للمتعصب المصر على رأيه و(تكت) وتقال للمتحدث دائما بموضوعات تافهة و(يشلخ) وتقال للكاذب الذي يهول الامور ، و(حشش) وتقال مرة للمتحذلق في السخرية من الاخرين ومرة اخرى للذي يتغابى او لم يفكر جيداً و(علق المغذي) وتقال للذي يصبّر الاخر بالوعود الكاذبة ومنها ايضا عبارة (خليه على الشحن) وأن تأخر شحنه يقال له (عطب) هذا ماسمحت به معرفة صديقنا صاحب البسطة الذي أعتذر عن ذكر أسمه وأرغمنا مشكورا على شراء قرصين أضافيين . كان النهار في عز ظهيرته ولم يكن من بد أن نلجأ الى مقهى قريب لتناول بعض الطعام وأحتساء الشاي ، وفي المقهى كنا أوفر حضا في العثور على من يعيننا في تحقيق مهمتنا .

العلس ...!

حسين طنش صاحب معمل ومعرض للألبسة الرياضية في الباب الشرقي ، يبلغ من العمر الثامنة والثلاثين عاما ،كان منهمكا في حديث مع شخص يجلس بجواره يشتكي فيه من اخلاق شباب (هالوكت) فتدخلت متضامنا معه لما تعرضت له من (قلة احترام) من عدد منهم حين عرفوا انني صحافي يبتغي كتابة موضوع عنهم، وأنتهزت الفرصة وسألت الاخ حسين عن معنى كلمات وجهت لي من مثل (اشطح) و(أفلت) و (تكسح) مقرونة بمفردة (خالي) فضحك وقال : يقصدون اهرب بجلدك أحسن لك، ياأخي حظك عدل (زين ما علسوك) والعلس يعني عندهم حالة من حالات الغدر .و(البحارة) وهم بائعو النفط الذين يحتكرون شراء وبيع النفط في الأزمات المفاجئة. والصكاكة وغيرها...

وتبرع أبو رامي السيد حسين طنش بابداء العون مشكورا ،سيما وهو أبن سوق منذ نعومة أظفاره وأوضح لي معاني عدد من كلمات تلك اللغة شبه المجهولة بالنسبة لعامة الناس من مثل (داوي) و(عاوي) و(تعبان) وتشترك هذه الكلمات بمعنى واحد تقريبا وتقال عادة للمفلس ماديا او معنويا .

توب كلوب

وكلمة (وديه) وتقال للسخرية من المهزوم لحظة هزيمته سواء في لعبة او معركة .وكلمة (جيبة) وتعني انا لها وقادر عليها .وكلمة (صعدت الحماوة) وتقال لمن بلغ الانفعال العصبي عنده أعلى درجاته .وكلمة (توب كلوب) وتعني جاهز لكل شيء والملابس المستعملة وفيها مصلح اجهزة صوتية واحد ودكان مقهى متصاغر يقع في منتصف الشارع الذي تشق ارضيته ساقية مياه ثقيلة قذرة .

كان صوت عبد الوهاب يصدح باغنية (شكل تاني حبك انت) استوقفتني عذوبة اللحن وسلاسة الغناء امام باب المقهى المشغول بثلاث قنفات وستة او سبعة كراس لاغير، وعدد قليل غير متجانس من الرواد ، جلست قرب رجل تخطى السبعين حليق الوجه بسيط الهندام غيرأنه انيق ، انتبهت الى نظرات شابين جالسين على القنفة المقابلة مسلطة علي . للحظة الاولى شعرت بهاجس شذوذهما الجنسي حين راحا يتحدثان بطريقة أنثوية واضحة وما أكد هاجسي ان وجههما كانا مثقلين بمساحيق التجميل ، حاولت التغاضي مفتتحا حديثي مع الشيخ الجالس جواري عن الحر اللاهب لتموز وكارثة عواصف الغبار المتكررة والتي تكمل مشهد الجحيم اليومي في حياة العراقيين . استجاب ابو صالح للحديث قائلا :(جنه وين وصرنة وين ،أشلون ميصير، اليوم احسن من البارحة).

تشجعت محولا دفة الحديث نحو وضع الشباب مابين اليوم والامس . فاجأني العم ابو صالح بالقول :الحرية حلوة . تريثت في الكلام طالبا من القهوجي شايين وقدحي ماء ، فكرت ان الصراحة اقصر الطرق للوصول الى الغاية ، قدمت نفسي لجليسي بوصفي صحافياً احاول الكتابة عن موضوع اللغة المتداولة في مجتمع الشاذين جنسيا .انتبه لي ابو صالح ، وبعد فترة صمت قصيرة أجابني ضاحكا وفي نفس الوقت ،متسائلا :(أشلون عرفت آني واوي عتيك؟).

استبشرت خيرا وراح الرجل يحدثني مستفيضا في استذكار مجريات الماضي القريب : في الستينيات كان يسمى الشاذ جنسيا (فرخ) ومن ثم تطورت التسمية الى (بجغ) وفي السبعينيات كان هنالك عدد من الاماكن المعروفة التي يتجمعون فيها ، هنا في الميدان مقابل محلة الصابونجية على رصيف شارع الرشيد ،وموقف اخر في ساحة النصر ، وهم مستخنثون بالكامل سواء في طبيعة ازيائهم أوفي طريقة تصفيف شعورهم ووضع المكياج فوق وجوههم ،وحينذاك كانوا يدعون (الطنطات) وحين يمر بتجمعهم احد المشاكسين يصيح بأعلى صوته (سمج ياكل سمج) فيأتيه الجواب جماعيا (والصياد ياكل قزالقوت) واستمرت التسمية تتغير حسب الظروف والاحوال من مثل (دودة) و(اسقاقي) و(الباي علة) و بعد سقوط صدام انتشر في الاسواق والشوارع والمقاهي اسم (شمكلي) أما الان فإن التسمية الشائعة لهؤلاء هي (الجراوي) ومفردها (جرو) وهي تسمية كما يرى العم ابو صالح ، فيها بعض القسوة عليهم حسب رأيه .فرحت أشد الفرح بما منحني اياه جليسي الرائع من معلومات فطلبت من القهوجي ان يتحفنا بقنينتي ببسي مثلج ، ونحن نحتسي البيسي أباح لي ابو صالح ان هناك أماكن يتواجد فيها الشاذون وحسب الطلب يتكفل بمهمة اللقاء بهم سمسار خاص

لقاء اجر معلوم بعد ان يترك الخيار للمريد بين خيارات عدة من مثل (طابوكة) أو (الف ومية) أو (ثعلب) أو (N٧٣ ميوزك) كامل المواصفات....!!

شباب في نهار راقص.. احتفال البطالة والجوع